السنة الثالثة ليسانس

المستوى : السداسي السادس

المقياس:علم الدلالة 2

المعامل: 02

الرصيد: 04

نوع الدرس: محاضرة – وحدة التعليم الأساسية

الأستاذة: د. غنية تومي

المحاضرة 07 : النظرية السياقية

Contextual Theory

1- تعريف السّياق: لغة من الجذر[س و ق]:" سَاقَ الإبِلَ وغيرها، يَسُوقُهَا سَوْقًا وسِيَاقًا وهو سَائِقٌ وسَوَّاقٌ شُدِّدَ للمبالغة ... وقد انْسَاقَتْ وتَسَاوَقَتْ الإبِلُ تَسَاوُقًا إذا تَتَابَعَتْ ... والمُسَاوَقَةُ المُتَابَعَةُ..."[1]. **اصطلاحًا:** هو " التركيب الحيّ الذي يعتبر المجال الفعليّ للتّعامل مع الألفاظ ومعانيها، ومن ثمَّ الحكم عليها"[2]، ولعل أشمل تعريف للسّياق أنّه النّظم اللّفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة،كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه، كلّ ما يتّصل بالكلمة من ملابسات وظروف، والعناصر غير اللّغويّة المتعلّقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة.

2-المعنى في النّظريّة: نصل للمعنى من خلال هذه النظرية باعتبار أنّ الوحدات الدّلاليّة تقع في مجاورة الوحدات الأخرى، وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلَّا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تجاورها، مع إدراج دور وسائط التّلفّظ المقامية ضمن العملية الإدراكية التأويلية. وهي أساسًا تنبني على أمرين اثـنين:

-السّياق اللّغويّ أو تحليل النّص وفق مستوياته اللّغويّة والإفادة من القرائن المقالية المتوفرة.

-السّياق الحاليّ أو المقاميّ أو سياق الموقف.

3-نشأة النّظريّة: أسسها رائد المدرسة الاجتماعية الإنجليزية **"جون فيرث John Firth"**(1890-1960) الذي وضع نظرية لغوية عامة جاءت محصّلة للدراسات اللّغويّة التي ظهرت في بريطانيا أواخر القرن الثامن عشر، وتوصّل إلى أنّ **المعنى هو الاستعمال"**[3]، و " أنّ اللّغة ليست كما يرى التعريف التقليدي وسيلة من وسائل توصيل الأفكار والانفعالات أو التعبير عنها، أو نقلها (...) فمثل هذا لا يعدو أن يكون وظيفة واحدة من وظائف اللّغة، و رأى أنّ اللّغة كما يمارسها المتكلّمون في أي جماعة من الجماعات إنّما هي نوع من السّلوك، ضرب من العمل، إنّها تؤدي وظائف كثيرة غير التوصيل"[4]. يقول: " أقترح تقسيم المعنى إلى سلاسل من الوظائف الجزئية، وسوف تعرف كل وظيفة بحسب استعمالها شكلاً أو عنصرًا في لغة معينة من خلال علاقتها بنص ما، ويمكن القول بأن المعنى عبارة عن علاقات سياقية معقدة، وعلم الأصوات والقواعد والمعاجم والدّلالة، كلّ واحد من هذه الأقسام يأخذ أجزاءه في النّص المناسب المعقّد"[5].

ويستوجب الوصول إلى معنى نص لغويّ ما، حسب فيرث، اجتياز المراحل الآتية:

- تحليل النّص قيد الدراسة إلى مستوياته اللّغويّة المختلفة وعلى الترتيب: المستوى الصوتيّ، فالصرفيّ، فالنحويّ، فالمعجميّ ثمّ الدّلاليّ.
- تحديد سياق الحال أو الماجريات أثناء الكلام الفعلي، أخذا بعين النّظر:

أ- شخصية كل من المتكلم والسّامع أو الحضور، وتكوينهم الثقافي والاجتماعيّ، ودورهم في الفعل الكلاميّ.

ب- كلّ ماله صلة بالموقف من عوامل وظواهر اجتماعية ومناخية يمكن أن تؤثر من قريب أو من بعيد في السلوك اللّغويّ أثناء الكلام.

ج- أثر الحدث الكلامي في المشاركين من اقتناع أو اعتراض أو سخرية أو ألم أو سرور ...، وهذا يؤكد أهمية الدور الاجتماعي لعناصر الواقعة اللّغويّة[6].

•تحديد بيئة الكلام الاجتماعية والثقافية، والاقتصار على مستوى لغوي واحد كأن تكون لغة المثقفين أو لغة العامّة.

4/ أعلام النظرية: اللّغويّ الفرنسي "**فندريس Vendryes**و اللّغويّ "**جون لاينزJohn Lyons**" صاحب شعار(أعطني النّص الذي وجدت فيه الكلمة وأعطيك معناها) الذي جعل السّياق الأساس المعوّل عليه في اقتناص معنى الوحدة الكلامية وفق مستويات ثلاثة في تحليل النّص، و**ميتشلMitchell وهاليداي Halliday وماكنتوشMcIntosh, وسانكلير Sinclair**، و"**بيار غيرو Pierre Guiraud**" ينحو المنحى السياقي، بل ويبالغ في أحيان كثيرة، جاعلا للكلمات وظائف لا معاني، وينفي أيّ معنى ممكن للكلمات خارج السّياق " فليس للكلمات معنى إنما استعمالات شتّى(...) إن المعنى كما يصلنا في الخطاب، يخضع لعلاقات الكلمة مع غيرها من الكلمات المتواجدة ضمن السّياق ذاته وتحدد بنية النظام الألسني هذه العلاقات"، هذا وقد اتّضح أنّ لمثل هذا المسار اللّساني تأييدا من بعض الفلاسفة، من مثل الفيلسوف "**فتجنشتن Wittgenstein**" الذي كثيرا ما كان يردّد في كتاباته مقولته المشهورة (لا تبحث عن معنى الكلمة بل ابحث عن استعمالها) وبتعبير متطرّف يقول أيضا:" ليس للكلمة دلالة وإنّما لها استعمالات فحسب"، ويجاريه "**برتراند راسلBertrand Racel** "بعبارة دقيقة وتمثيل ذكي، في قوله:"الكلمة تحمل معنى غامضا لدرجة ما، ولكنّ المعنى يكتشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله، الاستعمال يأتي أوّلا، وحينئذ يتقطّر المعنى منه"[7].

5/أنواع السّياق: من أشهر من حدّد للسياق أنواعا اللّغويّ **K.AMMER** فجعله أربعة أنواع هي: السّياق اللّغويّ، و العاطفيّ، والحاليّ، والثقافيّ[8].

5-1-السّياق اللّغويّ "Linguistic Context": وهو ضرب من السّياق يعتمد على عناصر لغوية في النّص هي العلاقات اللّغويّة "Formal (Sense) Relations" والتي تتمثل بالعلاقات الأفقية أو التركيبيةٍ "Syntagmatic"/

"Syntactic" بين مكوّنات النّص اللّغويّ والعلاقات العمودية، وفق مبدأ توزيعي، يقتضي اتحادا بين موقعية اللّفظة في المركب اللّساني ودورها الدّلالي في السّياق اللّغويّ، ويتطلب كذلك "ذكر جملة سابقة أو لاحقة، أو عنصر في جملة سابقة أو لاحقة أو في الجملة نفسها يحول مدلول عنصر آخر إلى دلالة غير المعروفة له.

لقد ركّز أصحاب هذه النّظريّة على دور السّياق في العملية الإدراكية الإفهامية للغة، ممّا جعلهم يقصون أن يكون السبيل إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه أو وصفه أو تعريفه، فدرسوا معنى الكلمة متجاوزين أصل الدّلالة وطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول.

ميّز (فيرث) بين البنية أو (علاقات المحور الركني التركيبي) من ناحية، وبين " التنظيم" أو (علاقات المحور الاستبدالي) من ناحية أخرى، و رأى أنّ البنية تنحصر بأشكال الكلمات في السّياق، في حين ينحصر التنظيم بالعلاقات الاستبدالية القائمة بين العناصر والتي تكون قيمتها اللّغويّة.

5-2/السّياق العاطفي الانفعالي"Emotional Context": هو ذلك النوع من السّياق المحدد لدلالة الصيغة أو التركيب من معيار قوة أو ضعف الانفعال، الأمر الذي يستوجب تأكيداً أو مبالغة أو اعتدالا، فرغم اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى إلا أن دلالتيهما تختلفان، نحو الفرق الدّلالي بين اللّفظين: يغتال ويقتل؛ إذ إنهما يشتركان في الدّلالة على القتل إلَّا أنه يصاحب كل منهما درجة عاطفة وانفعال مختلفين (الأول: يدلّ على قتل شخصية سياسية ولأسباب خاصة أما الثاني فيدل على قتل شخص عادي ولأسباب غير خاصّة)، والأمر نفسه بالنسبة للفعل (يكره) الذي يختلف عن (يبغض) رغم اشتراكهما في أصل المعنى. والكلمة في السّياق يكتنفها " جوّ عاطفي يحيط بها وينفذ فيها ويعطيها ألوانا مؤقتة على حسب استعمالها"[9].

5-3/ سياق الموقف أو الماجرى "Situational Context/ Context of Situation": وهو كلّ ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، أو هو جملة العناصر المكوّنة للموقف الكلامي(أو الحال الكلامية) التي تكون طريقا إلى دراسة العلاقات الموجودة بين السلوك اللّغويّ والسلوك الاجتماعي، وهو غالبا ما يعرف بسياق المجتمع في اللّغة، ومثاله استعمال كلمة "يرحم" في مقام تشميت

العاطس:" يرحمك الله "، وفي مقام الترحّم:" الله يرحمه"..، ففي طلب الرحمة في الدنيا بدئ بالفعل، وفي طلب الرحمة في الآخرة بدئ بالاسم، وحتىّ وإن كان التركيب اللّساني واحداً، فإن استعماله في مواقف متعددة أو في بيئات لغوية مختلفة يؤدي، غالباً، إلى تغير دلالته.

4-5/ السّياق الثقافي "Cultural Context": ويقصد به القيم الثقافية والاجتماعية التي تحيط بالكلمة، فتأخذ ضمنها دلالة معيّنة. ويتطلب هذا النّمط من السّياق تحديد المحيط الثقافي الاجتماعي للفظة، فثقافة مجتمع ما تختلف عن ثقافة مجتمع آخر، بل وفي المجتمع الواحد نجد تباينا ثقافيا اجتماعياً بين طبقاته ومختلف فئاته، الأمر الذي يؤدي حتما إلى تباين في لغة كلّ طبقة، فلكلّ طبقة مفرداتها وأسلوبها الخاص بها، وقد أشار علماء اللّغة إلى ضرورة توافر هذه المرجعية الثقافية عند أهل اللّغة الواحدة حتى يتسنّى لهم التواصل. وكمثال على ذلك كلمة (عقيلة) التي تعدّ في عربيّتنا المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية الراقية مقارنة بكلمة (زوجة) التي يستعملها المتكلم العادي أو من الطبقة المتوسطة، والأمر نفسه بالنسبة لكلمة (نجل) التي تعني الابن لكن عند الطبقة المتميزة كأن نقول: نجل الرئيس، وكلمة (ابن) التي تستعمل عند العامّة من الناس.

6/نقد النّظريّة:

-عدم تقديم فيرث لنظرية شاملة للتركيب اللّغويّ، واكتفى بتقديم نظرية دلاليّة.

-لم يكن محدّدا في استعماله لمصطلح **السّياق**، وغموض حديثه عن **الموقف**، مع مبالغته في منح أهميّة كبيرة جدا لفكرة السّياق.

-عدم جدوى المنهج السّياقي لمن تصادفه كلمة عجز السّياق عن تحديد معناها، فما الفائدة من إعطائه سياقات الكلمة حينها.

7/أهميّة النّظريّة:

-جعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي، ويعالج الكلمات باعتبارها أحداثا وأفعالا تقبل الموضوعيّة والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة.

-تقيّد النّظريّة بحدود دائرة اللّغة في تحليلها اللّغويّ، أي دراسة العلاقات داخل اللّغة.

للتوسع أكثر ينظر:

- الصادق خليفة راشد، دور الحرف في أداء معنى الجملة، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، (د.ط)، 1996م.
- محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللّغة، دار النّمر للطّباعة، القاهرة-مصر، (د.ط)، 1983م.
- محمود السّعران، علم اللّغة، -مقدّمة للقارئ العربيّ.
-علي زوين، منهج البحث اللّغويّ بين التراث وعلم اللّغة الحديث.
- عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي وداود غطاشة، علم الدلالة والمعجم العربيّ، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، عمّان-الأردن، ط1، 1989م.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة.

---

[1]-ابن منظور، اللسان، مادة [س و ق].

[3]-الصادق خليفة راشد، دور الحرف في أداء معنى الجملة، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، (د.ط)، 1996م، ص131.

[3]-محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللّغة، دار النّمر للطّباعة، القاهرة-مصر، (د.ط)، 1983م، ص 321.

[4]-محمود السّعران، علم اللّغة، -مقدّمة للقارئ العربيّ، ص 310.

[5]-علي زوين، منهج البحث اللّغويّ بين التراث وعلم اللّغة الحديث، ص174. وينظر: جون لاينز، (ما معنى نظرية المعنى عند فيرث؟)، تر. عبد الكريم مجاهد، آفاق عربية، كانون الأول، 1990، ع:12، ص60-63.

[6]-ينظر: عبد القادر أبو شريفة وحسين لافي وداود غطاشة، علم الدلالة والمعجم العربيّ، دار الفكر للنّشر والتّوزيع، عمّان-الأردن، ط1، 1989م، ص 53.

[7]-أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 72.

[8]-ينظر: نفسه، ص 69.

[9]-فندريس، اللّغة، ص 235.